

النشاط الفلاحي بمنطقة تيهرت خلال العهد الرستمي
(160-296 هـ / 777-909 م)

Agricultural activity in the area of Tehert
during the Rustomy era (160-296 AH/ 777-909 AD)

◆ مكّي زيان

zianemekki58@gmail.com

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان

تاريخ الإرسال: 2021/10/23 تاريخ القبول: 2021/12/28 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

مثّلت تيهرت إحدى أهم حواضر المغرب الإسلامي في العصر الوسيط حتى سماها البعض بـ: "عراق المغرب"، فقد تبوّأت مكانتها الحضارية نتيجة ما زخرت به من خاصيات طبيعية؛ بموقعها وسط سهول داخلية واسعة تغذيها شبكة من الأنهار، تميزها تربة خصبة ومناخ شبه قاري ملائم لزراعة الحبوب وخاصة القمح. وإمكانات بشرية تمثلت في اليد العاملة التي توفرت بفضل الوافدين إلى تيهرت الرستمية من الباحثين عن الاستقرار والأمن الذي ميزها، والجهود التي بذلها حكام الدولة لتشجيع فلاحة الأرض وتربية الماشية، فأقبل الناس على الزراعة والرعي، حتى اشتهر بعض هؤلاء الحكام بممارسة هذا النشاط بأنفسهم، وغدت الفلاحة الحرفة الغالبة على نشاط السكان. ومن هنا نركز في هذه الورقة البحثية على إبراز هذه الخصائص والإمكانات، ودورها فيما حققه سكان تيهرت وباديتها من وفرة في الإنتاج الفلاحي وتربية المواشي، فعم الرخاء وكثرت الأموال. وقد وجدنا في كتب الرحلات والجغرافيا إشارات هامة لجوانب مختلفة في موضوع الفلاحة وما ارتبط بها، وهو ما يعوض النقص الملاحظ في المصادر الأدبية وخصوصا التاريخية التي ركزت على الأحداث السياسية ولم تشر إلى هذا الموضوع إلا إشارات عابرة متناثرة لا تغني الباحث للوصول إلى الدور الحضاري الذي ميّز هذه المنطقة في هذه المرحلة من تاريخها. الكلمات المفتاحية: تيهرت؛ الفلاحة؛ مقوماتها؛ العصر الوسيط.

Abstract: Tehert represented one of the most important cities of the Islamic Maghreb in the Middle Ages, until some called it "the Iraq of Maghreb." It gained its civilization place due to the richness of its natural particularities, its location in the middle of wide interior plains fed by a network of rivers that was characterized by fertile

◆ المؤلف المرسل

soil and a semi-continental climate suitable for the cultivation of grains, especially wheat. And human potential of man-power that was made available thanks to the arrivals to Tehert Al-Rustomiah as a result of the stability and security that distinguished it. Besides, the efforts made by the rulers of the state to encourage cultivation of the land and breeding animals. This made some rules famous through exercising that activity themselves and which led agriculture to become the most craft of the population activity.

This research paper focuses on highlighting these characteristics and potentialities and their role in what the residents of Tehert and its countryside achieved in the availability of agricultural production and the large numbers of animals. So prosperity prevailed and money increased. We have found in travel and geography books important references to various aspects of the subject of agriculture and what is related to it, which compensates for the lack observed in literary sources, especially historical ones that focused on political events and did not refer to this topic except for scattered passing references that do not enrich the researcher to reach the civilized role that distinguished this area in this époque of its history.

Keywords: Tehert; farming; potentialities; middle age.

مقدمة:

رغم أن كتب الجغرافيا والرحلة أسهبت في وصف بلاد المغرب وما فيها من غلال ومزروعات وثمار إلا أنها تميزت بالعمومية وعدم التفصيل في موضوع الفلاحة خاصة عندما يتعلق الأمر بمنطقة محددة مثل تيهرت، وإذا استثنينا تاريخ ابن الصغير، لا تجد مصدرا يختص بتاريخها في مختلف جوانبه، وبالتالي وجب على الباحث أن يعتمد على ملاحظات الرحالة والجغرافيين والفقهاء وكتب الطبقات لتصيّد ما ورد فيها من إشارات للموضوع محل البحث. فالنشاط الفلاحي في نظرنا أهم النشاطات التي مورست في بلاد المغرب عامة وحاضرة تيهرت وأحوازها بشكل خاص، ذلك أن تيهرت مثلت عاصمة للمغرب الأوسط في هذه الفترة من تاريخه - عاصمة للدولة الرستمية - بل أصبحت من أهم حواضر بلاد المغرب خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين حتى سميت بـ "عراق المغرب"، وكان ذلك نتيجة لتضافر عوامل عديدة طبيعية وبشرية أسهمت في هذا الرخاء والوفرة، والتي انعكست بدورها على استقرار الحكم في هذه المدينة باعتبارها عاصمة لدولة امتدت على نطاق واسع وتوسع عمرانها وتوافد عليها السكان لاستقرار الحكم بها وسيادة العدل وغنى خزينتها بالأموال والغلال.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على النشاط الفلاحي بتيهرت في العصر الوسيط وهي التي شهدت ازدهار في عدة مجالات ومنها الفلاحة التي جعلت منها بلدا مكتفيا في مجال الإنتاج الفلاحي والحيواني بل أصبحت قطبا مصدرا للمنتجات الفلاحية إلى مختلف الحواضر في المغرب والأندلس عبر الطرق والمسالك البرية شرقا وغربا وجنوبا والبحر شمالا عبر موانئ تنس وعين فروخ، ورغم أن هناك من الدراسات السابقة من تناولت تيهرت إلا أنها تناولتها بشكل عام ضمن تاريخ الدولة الرستمية ويظهر هذا مثلا في مؤلفات الأساتذة بحاز ابراهيم وعيسى الحريري عن الدولة الرستمية وجودت عبد الكريم في كتابيه: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ثم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. كما تناول آخرون تيهرت من الناحية العمرانية والفكرية مثل مقال ل: عباد محمود عن الموقع وتطور المشهد العمراني لمدينة تيهرت القديمة ومقال ل: قاسمي بختاوي عن مصادر التمويل ونظام الجباية في الدولة الرستمية، وفطيمة مطهري عن موارد بيت المال الرستمي، وغيرها من الأبحاث التي لم تتطرق إلى موضوع الفلاحة على أهميته كنشاط مارسه معظم سكان تيهرت وأحوازا بل مارسه حتى وجهاء المدينة وقادتها.

1- مقومات النشاط لفلاحي: المقومات الطبيعية (الموقع - السطح - المناخ)

1.1- الموقع: ارتبط ذكر تيهرت في مصادر التاريخ الوسيط بنشأة الدولة الرستمية التي اتخذت من هذه المدينة عاصمة لها في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني¹. والظاهر أنها كانت قرية قديمة ثم مدنت².

1 ابن خلدون، عبد الرحمان (ت 808هـ/1406)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت 2000/1421م، ص 147، ابن الصغير-ت281هـ-، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وبحاز ابراهيم، دار الغرب الاسلامي، 1985، ص 19، ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد-ت بعد 712هـ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق وضبط نصه وعلق عليه، بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، الطبعة 1 دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، ص 196، جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر 1984، ص30.

2 ابن عذارى، المصدر السابق، ص 200، مصطفى باديس أوكيل، ميناء عين فروخ ودوره في الحركة التجارية للدولة الرستمية (160 هـ - 296 هـ / 777-909م)، مجلة تاريخ المغرب العربي، جامعة الجزائر 2، المجلد 3، العدد 7، 2017، ص.ص 68-83.

وتم اختيار مكان بنائها لمنعته الطبيعية³ في كنف جبل بلغ ارتفاعه ما بين 1000 م و1200 متر عن مستوى سطح البحر،⁴ وهو جبل محصن يصعب الوصول إليه يسمى جزول أو كزول،⁵ وسماه صاحب الاستبصار جبل قرقل كما سمي سوفجج،⁶ وكانت قلاعها مبنية بشكل جيد ومجهزة لتحمل الحصار. وصارت تيهرت بعد تأسيسها مركزا حضريا كبيرا يستقطب إباضي المشرق.⁷ فتجمع الناس بها وتزايدت أعدادهم "فسكنوا المدينة والبادية."⁸ فغدت المدينة محاطة بالقبائل الإباضية.⁹ ويبدو أن الرستميين بالغوا في تحصينها فقد ضربوا عليها سورا عليه أبراج للحراسة والدفاع. ذكره ابن حوقل بقوله: "القديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالى."¹⁰ وجعلوا على هذا السور حوالي 34 برج

3 توجد تيهرت على بعد بضعة كيلمترات عن المدينة الحالية تيارت -عدها بعضهم ما بين ثمانية أو تسعة كليترات- وهي التي تحصن بها الأمير عبد القادر الجزائري أثناء حربه مع المستعمر الفرنسي، ينظر: إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، المطبعة العربية غرداية، الجزائر، 1414هـ/1993م، ص86. وتسمى حاليا تقدمت. ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص25. ينظر كذلك: Dalila SENHADJI

Histoire de l'architecture, polycopié (un recueil des cours de l'Histoire de l'Architecture), Faculté d'Architecture et de Génie-Civil Département d'Architecture, Université des Sciences et de la Technologie d'Oran, Année universitaire 2016 – 2017, p12.

4 قوزية سعاد بوجلابة. تاريخ مدينة تيهرت الأثرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مركز الحكمة للبحوث والدراسات الجزائرية، المجلد4، العدد2016، 8، ص.ص 01-17.

5 البكري، أبو عبيد الله ت487هـ / 1094م، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر 1957م، ص66، يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح- ت284هـ/897م- البلدان، ط2، نشر م ج جوية، بريل ليدن، وصف إفريقية الشمالية مأخوذ من كتاب البلدان، اعتناء ونشر. هنري بريس. الجزائر 1380هـ / 1892م، ص198.

6 مجهول كاتب مراكشي -عاش في القرن 6هـ/12م-، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985. ص178. صلاح الدين حميدي / وهراني قدور، موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالغرب الإسلامي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة تيارت، المجلد01، العدد01، جانفي 2018، ص96.

7 Dalila SENHADJI, op.cit, p13. نقلا عن Kaddache Mahfoud, **L'Algérie des Algériens de la préhistoire à 1954** ; pp.179-180.

8 ابن الصغير، المصدر السابق، ص20.

9 عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ)، ط3، دار القلم الكويت، سنة1408-1987م، ص95.

10 ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت 1996. ص86.

حراسة على محيطه شبه مستطيل بين كل برجين حوالي 25مترا، وبالتالي فإن طول سور المدينة – تاقدمت- يساوي بالتقريب 85متر، وبهذا فإن متوسط طولها يساوي 287.5 م، وعرضها 137.5 م، فتكون مساحتها الإجمالية بالتقريب 3.95 هكتار¹¹. وكانت لهذه التحصينات أسبابها السياسية؛ فمن المعروف أن قدوم الرستميين لتيهرت كان فرارا من الطلب العباسي بعد هزيمة الإباضيين بقيادة أبي الخطاب أبي الأعلى بطرابلس أمام الجيش العباسي بقيادة والي مصر محمد بن الأشعث الخزاعي في 144هـ/761م، فاضطر عبد الرحمان بن رستم الى ترك القيروان التي كان واليا عليها وتوغل في المناطق الجبلية للمغرب الأوسط حتى استقر بجبل سوفجج ذو الحصانة الطبيعية فلم يستطع الجيش العباسي اقتحام الجبل رغم الحصار الطويل¹². كما تبرز أهمية موقعها في بعدها عن القيروان مقر الأغالبة بنحو ثلاثين مرحلة وعن فاس بخمسين مرحلة¹³. وعن خطر الأسطول البيزنطي من الساحل، فهي في موقع متوسط بين التل والصحراء¹⁴. كما أن لموقعها بعدا اقتصاديا فهي محاطة بغابات كثيرة وغنية بمصادر المياه. وترتبط بين طريقين تجاريين مهمين: شرق غرب يربط تيهرت بالقيروان عبر إقليم الزاب المشهور بازدهاره الاقتصادي وانتاجه الزراعي الوفير¹⁵ ويربطها غربا بفاس وطريق شمال جنوب يربطها بسجلماسة وآخر يربطها ببلاد السودان عبر ورجلان جعل منها همزة وصل بين العديد من حواضر المغرب الإسلامي، قال ابن الصغير عن ذلك "أن السبل استعملت إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة"¹⁶. وكان لتيهرت ميناءان الأول صيفي هو ميناء مدينة تنس التي بينها وبين مدينة وهران سبع

11 عباد محمود، الموقع وتطور المشهد العمراني لمدينة تيهرت "القديمية" خلال العصر الإسلامي الوسيط، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة وادي سوف المجلد 4، العدد 5، 2018

12 صلاح الدين حميدي، وهراني قدور، المرجع السابق، ص 96.

13 الاصطخري بن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت خلال النصف الأول من القرن 4هجري)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال، د ط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/1961م، ص 46، صلاح الدين حميدي، وهراني قدور، المرجع السابق، ص 97-98.

14 جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مرجع سابق، ص 31، عباد محمود، المرجع السابق، ص 528.

15 جعيل أسامة الطيب، نبيلة عبد الشكور، الزراعة في إقليم الزاب في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة بلعباس، مجلد 11، عدد 02، 2020، ص ص 114-127.

16 ابن الصغير، المصدر السابق، ص 36.

مراحل،¹⁷ والثاني شتوي وهو مرسى عين فروخ حسب تسمية اليعقوبي.¹⁸ ويسميه البكري عين فروخ ويقول عنه مرسى شتوي مأمون وبينه وبين وهران في البر أربعون ميلا ويقابله من بر الأندلس مرسى "أقلة" وهو مرسى مدينة لورقة،¹⁹ وموانئ شاطبة وتدمير ومرسى أقلية الأندلسية.²⁰

2.1 - **مظاهر السطح:** تقع تيهرت في إقليم ينحصر بين سلسلتين جبليتين هما الأطلس التلي والصحراوي ويرتبط الجبل الذي تشرف عليه المدينة بالسلسلة الأولى إضافة إلى جبال ونشريس التي تمتد إليها أحواز المدينة شرقا.²¹ بينما أحاطت بتيهرت سهول داخلية واسعة ومرتفعة تسمى بالسهول العليا لارتفاعها عن سطح البحر، تشمل سهول بني راشد والبطحاء.²² في شمالها وسهل سرسو،²³ وهو من السهول العليا في جنوب تيهرت.²⁴ وجنوب غرب ونشريس، مساحتها شاسعة تلائم زراعة الحبوب،²⁵ وتمثل هذه السهول إتواءات مقعرة ملأتها الرواسب الفيضية القارية في الزمن الجيولوجي الرابع وهذه الترسبات هي التي جعلتها سهولا مرتفعة.²⁶ ترتفع ما بين 800 إلى 1000 متر عن سطح البحر.²⁷ تربتها خصبة ومناخها شبه قاري وهما عاملان مناسبان لزراعة الحبوب.²⁸ التي

17 عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع هوامشه خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية؛ بيروت، لبنان، 2005، ص253.

18 اليعقوبي، المصدر السابق، ص105.

19 البكري، المصدر السابق، ص81

20 مصطفى باديس أوكيل، المرجع السابق، ص.ص 68-83

21 ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص137.

22 كانت البطحاء قائمة عام 1119/513 على ضفة واد مينة، لكنها خربت أثناء الحروب بين ملوك تلمسان وبني مرين. ينظر: الوزان، الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت بعد 957هـ/1550م، وصف إفريقيا، ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1983، ص25.

23 **Hajiat Abde Lhamid, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyane Abou Hammou Mousa II 760-91/1359-89, édition Errached, Algérie, 1430/2009,p.30.**

24 ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج6، ص132.

25 بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، دم ج، الجزائر 1993، ص211.

26 لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص13. لطيفة بن عميرة، الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر معهد التاريخ، العدد 8، 1993/1994، ص71-72.

27 عبد الرحمان حميدة، جغرافية الوطن العربي، ط1، دار الفكر دمشق، 1418/1997، ص183.

28 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص72.

تمتد بها على نطاق واسع، وهذا السهل -سرسو- تكسوه تربة غنية بفوسفات الكلس فهي تنتج كميات كبيرة من الحبوب وخاصة القمح. لملائمة تربته لهذه المحاصيل.²⁹ كما غرست بأنواع الأشجار فدرب البساتين كان جزءاً من المدينة، قال المقدسي خلال القرن 4هـ/10م بأن المدينة أربع دروب ذكر منهم درب البساتين. وهو درب يقع في الجهة الشمالية الشرقية المشرفة على سهل سرسو.³⁰ وكان من أسباب اختيار موقع المدينة خصوبة تربته وقابليته للنشاط الزراعي.³¹

3.1 - المناخ: تشرف تيهرت على إقليم مناخي معتدل وملائم.³² تقع فلكيا في الإقليم الرابع، وعرضه ثمان وثلاثون درجة.³³ ومناخها شبه الجاف، يتميز بالحرارة والجفاف صيفا والبرودة والأمطار شتاء وهو مساعد على زراعة الحبوب. إذ ذكر البكري عن تيهرت التي تتركز بالمناطق الداخلية للمغرب الأوسط - البعيدة عن البحر بنحو 140 كلم- أن بها برداً شديداً، وأورد شعرا يصف فيه برودة الطقس بتيهرت:

ما أخشن البرد وربعانه وأطرف الشمس بتيهرت ...

نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت.³⁴

و دخلها أعرايي من أهل اليمن يقال له أبو هلال: فأنشد أبيات :

ما خلق الله من طرفة أسهى من الشمس بتاهرت.³⁵

ومن المعلوم ارتباط الأعمال الزراعية الوثيق بخصائص المناخ من الحرارة، والرطوبة، والرياح، وحدوث الصقيع، والندى والبرّد، والضباب لدورها في نمو النباتات.³⁶ وهي مظاهر مناخية تتميز بها تيهرت وأحوازها، ولهذا اهتم مزارعو المغرب بالمناخ وتقلباته

29. Hajjat,op.cit ,p43، ترجمة 2007، الرباط 2007، ص 25.

محمد التازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2007، ص 25.

30 المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد- ت378هـ/988م- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.2، مطبعة بريل ليدن 1906، ص 229، عباد محمود، المرجع السابق، ص 531 عباد محمود، المرجع نفسه، ص 532.

31 إحسان عباس، المجتمع التهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصاله، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد45، ص21.

32 جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مرجع سابق، ص31.

33 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر بيروت، لبنان، 1997، ص88.

34 البكري، المصدر السابق، ص67.

35 ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص88.

36 أبو العينين حسن سيد، أصول الجغرافيا المناخية، الدار الجامعية للطباعة، الطبعة الأولى، بيروت، 1981، ص35.

ومواسمه،³⁷ لأن ذلك يؤثر في حجم إنتاجهم، وفي كافة العمليات الزراعية المتعددة التي يقومون بها.³⁸ وعموماً يعتبر مناخ هذه المنطقة انتقالياً بين مناخ البحر المتوسط في الشمال والمناخ الصحراوي في الجنوب ويتلقى كميات من الأمطار تتراوح بين 300-500 ملم.³⁹

4.1 - المياه: أقيمت تيهرت في منطقة غنية بالمصادر المائية السطحية والجوفية، فواد مينا ورافديه: وادي توسنينة وجاد يجريان بالقرب من جبل الأخضر، كما توجد العديد من العيون المائية مثل: عين القبور، عين بان، عين الغراب، عين البيضاء وعين منصور، بعضها جف والبعض الآخر لازال إلى الآن.⁴⁰ وذكرت المصادر من الأنهار نهر أسلان غرب تيهرت بأربع مراحل ونهر تاتش والذي كان يصب رفقة نهر مينة في وادي الفرعة الذي يجري باتجاه الشرق ليلتقي بوادي الوحش ووادي قسني.⁴¹ وأكبرها وادي شلف الذي تعد هذه العيون والأنهار من روافده.⁴² ويحيط بهذا النهر حوض من السهول الخصبة وافرة المردود نتيجة الخصوبة وتوفر المياه، تتركز به عدة محاصيل خاصة الحبوب والأشجار المثمرة في سفوح ونشريس وزكار، وتمتد عليه العديد من القرى والمدن مثل شلف وبنو وأريفن ومليانة والخضراء وهي مدينة قرب تنس، وصفها البكري بأنها " واقعة على نهر خرار عليه الأرحاء وإذا حمل دخل المدينة وحولها بساتين كثيرة." ⁴³ تقوم في حوضه الزراعة الموسمية فهناك الزراعة الشتوية والزراعة الصيفية فقد أشار اليعقوبي أن الفلاحين كانوا يزرعون السمس على واد الشلف في فصل الصيف مستفيدين من مياه النهر وخاصة زراعة الخضر التي تعتمد على أسلوب الحياض في الري من مياه الأنهار والعيون.⁴⁴ وتعددت مصادر المياه بتيهرت ولهذا قال الاصطخري يصف اتساع امكانياتها الزراعية " هي

37 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، 80.

38 أبو العينين، المرجع السابق، ص17.

39 لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص17، 47، Hajiat Abde Lhamid, op, cit,

40 رايح بلحسن، أضرحة الملوك النوميدي والهور، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 149.

41 ابن الصغير، المصدر السابق، ص47. البكري، المصدر السابق، ص66، وسماه صاحب الاستبصار: نانس، ينظر: مجهول، الاستبصار مصدر سابق، ص178. إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص139، عيسى الحريري، المرجع السابق، ص231.

42 محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص11.

43 البكري، المصدر السابق، ص75، إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص146.

44 اليعقوبي، المصدر السابق، ص16

مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه⁴⁵ واستغل سكان تيهرت مياه الأنهار فأقاموا عليها خزانات وأحواض لحفظ الماء أيام الجفاف، كانت محكمة التصميم والهندسة وأوصلوا المياه إلى البيوت عن طريق الأنابيب وشق القنوات.⁴⁶ وتعد مخازن المياه التي يمثلها المبنى المركب من ثلاثة أحواض من أهم المعالم الأثرية الباقية بتيهert.⁴⁷ ولهذا قال اليعقوبي عن سكان تيهert أن: " شرب أهل مدينة تيهert من أنهار وعيون... ويأتي بعضها من جبل قبلي يقال له جزول".⁴⁸ ويبين ذلك وجود بقايا الأنبوب الذي كان يزود المدينة القديمة بالماء.⁴⁹

2- المقومات البشرية:

1.2- الاستقرار السياسي : اشتهرت الدولة الرستمية بنظام الشورى، وبعادلة أئمتها وصلاحيهم وتقواهم وعلمهم،⁵⁰ وحزمهم كذلك إذ يذكر ابن الصغير أن: "أفلق بن عبد الوهاب تميز بالحزم والشجاعة... فشهدت تيهert في عهده تحولا هاما ويجمع حوله القبائل ويحصل على هيبتها والمحافظة على السلم والاستقرار"⁵¹ ومن عدله وحزمه أنه لم يلق معارضة تذكر كما قال ابن الصغير: " ولم تكن الشراه تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صداقاته ولا في أعشاره"⁵². وهو ما انعكس على استقرار الدولة وازدهار اقتصادها في زمن قصير من تأسيسها يظهر ذلك في اندهاش الوفد الثاني لأهل البصرة من التطور الحاصل في تيهert بعد عودتهم إليها بعد بضع سنوات من رضاء البلد وحسن سيره⁵³ فامتلات بيوت الأموال وعم الرضاء، إلى أن حلت الفتن في أواخر حكم الرستميين، وتعطل النشاط الاقتصادي التجاري والزراعي مما أثر سلبا على موارد الدولة.⁵⁴

2.2 - جهود الدولة الرستمية في النشاط الفلاحي: كان للاستقرار والأمن الذي تحقق في عهد الأئمة الرستميين الأوائل الدور الأساسي في الازدهار الاقتصادي والتشجيع على

45 الاصطخري، المصدر السابق، ص34.

46 إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 156، عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 232.

47 قوزية سعاد بوجلابة. المرجع السابق. ص. ص 01-17.

48 اليعقوبي، المصدر السابق، ص 358.

49 عباد محمود، المرجع السابق، ص 528.

50 قوزية سعاد بوجلابة. المرجع السابق، ص. ص 01-17.

51 ابن الصغير، المصدر السابق، ص 21.

52 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص. ص 40-49.

53 ابن الصغير، نفسه، ص. ص 32-33.

54 قاسمي بختاوي، مصادر التمويل ونظام الجباية في الدولة الرستمية 160-296 هـ / 777-909م،

الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية جامعة شلف، مجلد 12، عدد 02، 2020، ص67

الإنتاج الفلاحي بقصد منهم أو بغير قصد، فقد عملت سيرهم الحسنة في تلك الفترة بالذات كما قيل: عملا هو أقوى من سلطة السيف والجيش.⁵⁵ وربما ساعدهم في ذلك طول مدة حكم هؤلاء القادة، وهو ما حقق للدولة الاستقرار المطلوب للازدهار. ويظهر مدى اجتهادهم في ذلك بإرسال أبي اليقظان ابنه أبا حاتم في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا قوافل قد أقبلت من المشرق وفيها "أموال لا تحصى".⁵⁶ خوفا عليها من نهب القبائل المتربصة بها.

وقد ساعدت فترة الهدوء والاستقرار في هذه الفترة على اتساع الميدان الزراعي فأصبح الإنتاج يفيض عن الحاجة ونشطت حركة التصدير وساعد انفتاح مدينة تيهرت على الناس على اختلاف مذاهبهم وبلادهم وأجناسهم في ترويح المنتجات وتنويع الإنتاج الزراعي؛ حتى سميت تيهرت في عهد اليعقوبي: جليلة المقدر عظمة الأمر.⁵⁷ وعلى العكس من ذلك لما ارتخى حبل الأمن في عهد أبي حاتم بن أبي اليقظان وعمه أبي يعقوب بن افلح ساءت الأحوال و"تقطعت السبل وفرغ من أيدي الناس الحرث والنسل".⁵⁸ ولهذا أشار ابن حوقل إلى أن تيهرت تغيرت "عما كانت عليه وأهلها وجميع قاربيها من البربر في وقتنا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت".⁵⁹ ولم يتبق من هذه المدينة إلا ما وصفته لنا كتب الرحالة بصورة تكشف ما كانت عليه المدينة من منشآت الماء حيث وصفت الخزانات المائية والعيون المائية الموجهة للاستغلال العام، التي يبدو أنها تأثرت بالهندسة المعمارية في مثيلاتها ببلاد المشرق الإسلامي.

فقد كان الحال كذلك بالنسبة لمنشآت الماء مثل المواجهل،⁶⁰ إذ يصف ابن الرامي البناء كيفية بنائها بقوله: "والعرف عندنا في بناء المواجهل أن يجعل له بايين: بابا يبنى منه

55 إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص102.

56 ابن الصغير، المصدر السابق، صص91-92.

57 اليعقوبي، المصدر السابق، ص13، جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و4 هجريين /9-10م، د م ج، الجزائر 1992، ص30.

58 ابن الصغير، المصدر السابق، ص99.

59 ابن حوقل، المصدر السابق، ص93.

60 Dalila SENHADJI,op.cit,p14. والمواجهل جمعها ماجل وهو وحدة معمارية تبنى في تخوم الأرض في الدّور وغيرها يجتمع فيها ماء المطر الذي يجري من سطح الدار ويخزن بها لاستغلاله في أغراض الحياة. ينظر: الونشريسي، أبي العباس احمد بن يحيى، ت 914هـ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج8، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور

وينزل منه يكون واسعاً في وسط داموسه، وباب آخر يستقى منه ويمون ضيقاً في جنب الهاجل.⁶¹ وحسب وصف هذا الأخير، فإن الهاجل يكون في جوانب الدور أو غيرها من المباني، يحفر جزء منه في الأرض ويبني ليكون خزاناً للماء الساقط من الأسطح في هذا الخزان لينتفع به.⁶²

وقد كانت المنازل بتيهرت مشكلة من فناء مربع تحيطه الغرف ما يسهل انسياب الماء من السطح إلى الهاجل. واكتشفت عدد من المباني المائية وأهمها بناء يحتوي على ثلاثة أحواض رئيسية مستطيلة الشكل مبنية بالحجر والملاط وملبسة بطلاء سميك بتيهرت.⁶³

3.2- اليد العاملة وإقبال الناس على الفلاحة: بتوافد السكان على تيهرت نشطت الحرف وفي مقدمتها الفلاحة في بادية المدينة ولم تقتصر على سكان البادية فقد كان لأئمة الدولة قصور خارج المدينة يتعاهدونها بخدمة الأرض وغرس الأشجار إذ خرج أبو حاتم لها أحس بالخطر على نفسه من معارضيها بالمدينة- إلى حصن به المواشي والعبيد بعرف بتماليت في طرف لواته. كما كان له قصر على نهر مينه. بل كان لوجهاء المدينة أراضٍ خارجها يفلحونها ويحيون مواتها. مثل رجل من خاصة أبي حاتم بن أبي اليقظان يسمى محمد بن حماد كان له منزل على بضع أميال من تيهرت قد "جمع الأشجار والأنهر والمزارع والنخل والقصور."⁶⁴

وقد كان الإمام عبد الوهاب من كبار ملاك الأرض للزراعة رفقة أحد مقربيه يدعى محمد بن جرنى ويذكر أنه قال عن ضخامة ما يدفعونه لبيت المال على سبيل الزكاة: "أنا بالذهب ومحمد بن جرنى بالحرث وابن زلغين بالأنعام" وأضاف: "لو لم أكن إلا أنا وابن جرنى وابن زلغين لأغنينا بيت مال المسلمين بما علينا من الحقوق الشرعية."⁶⁵

محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط ودرا الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 428.

61 ابن الرامي البناء، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي المعروف بابن الرامي البناء، - عاش خلال النصف الأول من القرن 8هـجري 14مبلاي-، الإعلان بأحكام البنين، تحقيق ودراسة فريد بن سليمان، تقديم عبد العزيز الدولتلي، مركز النشر الجامعي، 1999، د ط، ص 142.

62 ابن الرامي، المصدر نفسه، ص 227.

63 جودت عبد الكريم، الأوضاع مرجع سابق، ص 14.62 Dalila SENHADJI, op.cit, p14.

64 ابن الصغير، المصدر السابق، ص 93-100.

65 الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد -ت 928هـ/1521م- كتاب السير، طبع القاهرة، 1301هـ مقدمة التوحيد وشروحها، صححها وعلق عليها إبراهيم اطفيش، القاهرة، 1353هـ، ص 204، إحسان عباس، المرجع السابق، ص 30.

وكان أغلب المُتَرَجِّم لهم بتيهرت في كتب التراجم أصحاب ضيعات وأراض يخدمونها.⁶⁶ والواقع أنه كان خارج المدينة حصن لكل قبيلة يلجأون إليه زمن الفتن والدسائس، فقد كانت لواته وهواره في قبلة تيهرت وزواغة ونفوسة في غربها، وفي جوفها كما قال البكري مطماطة وزناتة ومكناسة. كانت لمزاتة أراض حول المدينة ظهر منها رجل يسمى أبو يعقوب المزاتي كان من مالكي الثروة بها.⁶⁷ وبالإضافة إلى كبار الملاك وقادة القبائل فقد مارس الفلاحة عموم الناس من أصحاب الملكيات الصغيرة للأرض وهؤلاء يعدون من طبقة العامة.⁶⁸

كان أغلب هؤلاء الفلاحين يقيمون في أراضيهم في حين كان البعض الآخر يقيم في القرية أو المدينة ومنها يخرج للعمل في ضيعته، وقد يترك كبار الملاك أراضيهم ليقيموا في المدينة ومن هؤلاء محمد بن حماد المقيم بتيهرت ويعتمد هؤلاء الميسورون على العبيد في خدمة أرضهم. واستخدم العبيد في خدمة الأرض والفلاحة والبساتين والأرجاء في بلاد المغرب عامة وفي تيهرت خاصة، وكان السودان الغربي مصدرا للذهب والرقيق فتجلب أعداد وافرة من العبيد ويستخدمون في الفلاحة.⁶⁹

3- **مظاهر ازدهار الفلاحة (الإنتاج الفلاحي):** توسعت الدولة الرستمية حتى وصلت إلى سرت شرقا.⁷⁰ فتوفر الأمن والاستقرار خصوصا في عهد الأئمة الثلاثة الأوائل، وازدهر اقتصادها وتميزت عاصمتها بطبيعتها الفلاحية وموقعها الطبيعي وكثرت بها البساتين والحبوب ومختلف الفواكه فكانت تدر أرباحا طائلة. وباردهار المدينة انتعشت أحوازها بالنشاط الزراعي والرعي، ففي عهد أفلح بن عبد الوهاب بنيت القصور في البادية وكثرت بأيدي سكانها الأموال والعبيد والخيول.⁷¹ وتظهر وفرة منتجاتها النباتية والحيوانية في ذكر المصادر لمكايل السلع في أسواق تيهرت حيث يقول البكري عنها: "بتاهرت أسواق عامرة...ومواليها من البربر أمم كثيرة ومدّم الذين يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية وقنطار الزيت وغيره عندهم قنطاران غير الثلث...ورطل اللحم عندهم خمسة أرتال."⁷²

66 إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 149..

67 البكري، المصدر السابق، ص 67، ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 25،

68 إحسان عباس، المرجع السابق، ص 28.

69 جودت عبد الكريم، الأوضاع، مرجع سابق، ص 19. بشاري لطيفة بن عميرة، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين، ق 1-4هـ/7-10م، دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية، 2008م ص 357، إحسان عباس، المرجع السابق، ص 27.

70 شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط 5، 2002م، ص 50.

71 ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54.

72 البكري، المصدر السابق، ص 68، 69، مصطفى باديس، المرجع السابق، ص 68-83.

ومن مظاهر ازدهار الإنتاج الزراعي بتيهت وكثرة غلال الحبوب وخاصة القمح وكثرة الأرحاء المقامة على أودية المدينة كواد مينة الذي يذكر ابن الصغير أن ضفاه عامرة بالأرحاء وأن من بين أبواب المدينة باب يعرف باسم باب المطاحن.⁷³ وقد وُجِدَ أثرياً عن طريق الزراعة مثل محمد بن جرنى الذي كانت زكاة غلاته آلاف الأحمال من البر والشعير وقيل أن أندَرُ زرعه كانت ترى من مسافة أيام كالجبل.⁷⁴ واتسعت المدينة ووجد بها نطاق بنيت به القصور أغلبها ضياع والجنات والبساتين في ضواحي المدينة.⁷⁵

ومن أهم المزروعات الحبوب وخاصة القمح والشعير إضافة إلى السمس ⁷⁶ وهي مزروعات تلائم مناخ تيهت. وسادت زراعة الحنطة لاستعمالها المتعددة مثل تحضير الخبز بعض أنواع الطعام والحلويات وساعدت قابليتها للتخزين، فالقمح يمكث في المطامير مدة تبلغ بين ست سنوات إلى 100 سنة ولا يفسد. والغلة تخزن في قلعة بني حماد فتبقى العام والعامين لا يدخلها فساد ولا يعتريها تغيير حسبها ذكر الإدريسي.⁷⁷ وأشار الدرجيني إلى كثرة غلال القمح في تيهت " إذا قدم تيهت - يقصد أبي مرداس - فحصد الناس زرعهم ولقط اللقاطون السنابل التي تبقى بعد اللقطين ورعي المواشي تعقبهم أبو مرداس فيلقط ما يقوم بقوت عام.⁷⁸ وكان الناس يخزنون ما يفيض عن الحاجة في الأهرأ أو المطامير التي كانت منتشرة بكثرة في تيهت وأحوازها حسب صور الحفريات. والتي يذكرها ابن الصغير عند الكلام عن عبد الرحمان بن رستم عندما " أمر بإحصاء ما في الأهرأ من الطعام."⁷⁹

73 ابن الصغير، المصدر السابق، ص.ص 12-40. ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 145.

74 إحسان عباس، المرجع السابق، ص 30.

75 نفسه، ص 24.

76 عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 232.

77 الإدريسي، أبو عبد الله المعروف بالشريف الإدريسي، -ت 559هـ- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة 2002/1422م، ص 91، عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية، مرجع سابق، ص 41.

78 الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد- ت حوالي 670هـ/1272م- طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تحقيق إبراهيم طلاي مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ص 293، الإدريسي، المصدر السابق، ص 95، وعن أبي مرداس ينظر: الدرجيني، المصدر نفسه، ص.ص 291-294، والهامش 104. 79 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 36، عن المطامير ينظر الملحق: شكل المطامير بتيهت، جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مرجع سابق، ص 35. والأهرأ: حفر تملأ بالشحوم بعد إذابتها بالملح والفحم والحطب لتخزين الطعام. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 96، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 133.

إضافة إلى بساتين الفاكهة مثل السفرجل الذي اشتهرت به تيهرت ويسميه أهلها بالفارس فيذكر البكري أن : " سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما"⁸⁰ وكان يؤكل طازجا ويستعمل في صنع المعاجن والرُّب. وأشجار الزيتون التي كانت واسعة الانتشار في تيهرت والدولة الرستمية ويستعمل ثمرها حبا طعاما وقد يصبر ويدخل زيته في استعمالات عديدة كتحضير الطعام ويؤكل بالخبز يستعمل للإضاءة والعلاج، وقد أشار ابن الصغير الى كثرة الزيت في تيهرت فذكر أن عبد الرحمان ابن رستم وزعه على الفقراء . ويستنتج من ذلك الاستعمال الواسع له. ولا زالت طرق جني الزيتون واستعماله متبعة حتى الآن فقد كانت الحبوب تهرس بواسطة عجلة يديرها الحيوان ثم يمر الزيتون المهروس إلى المعصرة أو يغلى الزيتون ثم يعجن ويترك في أحواض فيطفو الزيت وهذه الطريقة أقل إنتاجا إلا أن زيتها أجود ثم يحفظ الزيت في قلال من فخار أو زقاق من جلود الأغنام.⁸¹

4- * تربية المواشي: تعد تيهرت حاضرة تحيط بها القبائل القارة التي مارست الرعي مثل لواته وذناتة ومطماطة وهوارة وزواغة ومكناسة.⁸² إضافة إلى القبائل ذات النجعة التي ألفت الترحال الدائم للبحث عن الكلاً وتربية الماشية، وينقل لنا ابن الصغير صورة من هذا الواقع بقوله : " كانت قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب في أشهر الربيع إلى مدينة تيهرت وأحواضها لها حولها من الشلأ [الكلاً] وغيره"⁸³ ثم يعودون لأوطانهم عند انتهاء موسم الرعي، وكان أئمة الرستميين يكرمونهم عند قدومهم المدينة ويعدونهم من وجوه القوم. ولعل كثرة هذه القبائل وترددها على تيهرت بأغنامها وإبلها هي التي جعلت الرحالة يصفون تيهرت بشهرتها بتربية الإبل رغم أن مناخها وأرضها تختلف عن المكان الطبيعي لهذا النوع من الحيوانات وهو الصحراء.

وساعدت كثرة المراعي في أحواز تيهرت على تربية الغنم والبقر وإنتاج الصوف واللبن ومشتقاته. قال ابن حوقل: عن تيهرت وأحواضها: " هي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ويكثر عندهم العسل والسمن".⁸⁴ كما ذكرت المصادر

80 البكري، المصدر السابق، ص67، ابن حوقل، المصدر السابق، ص.ص 78-89، الإدريسي، المصدر السابق، ص.ص 83-84، البكري، المصدر السابق، ص 67، مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص.ص 166-178.

81 جودت عبد الكريم، المرجع نفسه، ص.ص 46-49.

82 ابن الصغير، المصدر السابق، ص55، البكري، المصدر السابق، ص67، وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصاله، مرجع سابق، العدد45، ص.ص 37-60.

83 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص41. احسان عباس، المرجع السابق، ص25.

84 ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

تربية الخيل والاهتمام بها كونها ذات أهمية كبرى في زمن الحروب، فقد ذكر ابن الصغير أن عبد الوهاب خرج لحرب بني أوس في هوارة، وعدّ في عسكره ألف فرس أبلق.⁸⁵ ومن المعلوم أن الجمال تستعمل في التجارة ونقل البضائع كما استخدمت البغال والحمير في المسالك الجبلية الوعرة.⁸⁶ وبلغ من ازدهار تربية المواشي وتعاضل أعدادها أن أحد ملاك المواشي من وجهاء المدينة وهو يبيب بن زلغين بلغت أعداد مواشيه " ثلاثين ألف ناقة وثلاثمائة ألف شاة واثنان عشر ألف حمار " ⁸⁷، وكان رعاة غنمه كلهم من عبيده. وكان للأئمة الرستميين الأعداد الكبيرة من المواشي وكان رعاتهم من العبيد. فقد ذكر عن يعقوب بن أفلح أنه يملك " بقرات يأمر بحلبها بين يديه في إناء جديد... فيشرب منه " ⁸⁸

5- الدور الاقتصادي للنشاط الفلاحي:

كانت مصادر تمويل الخزينة متنوعة ومبنية على منظور شرعي، فدار الزكاة موردها واحد هو أموال الزكاة، في حين يتغذى بيت المال من الجزية ومن الخراج والعشور وبعض الرسوم غير المستقرة كتلك المفروضة على القوافل التجارية التي تمر على ثغور الدولة، ناهيك عن الأموال التي بعث بها إباضية البصرة في بداية العهد الرستمي، ويظهر أن جل هذه الموارد مصدرها ما يدره قطاع الفلاحة وتربية المواشي كما يظهر في كل مورد من هذه الموارد.

1.4- الزكاة: خصص لها الرستميون دارا عرفت بدار الزكاة، يقتصر تمويلها على مورد واحد هو أموال الزكاة. ويظهر تمسك عمال الزكاة بالأطر الشرعية من خلال إشارة ابن الصغير أنهم " يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون " ⁸⁹ وبالمقارنة بابن الأغلّب الذي قال ابن عذارى عنه " عبد الله ابن إبراهيم بن الأغلّب أحدث في إفريقية وجوها من الظلم شنيعة منها أنه قطع العشر حبا وجعله ثمانية دنانير للقفيز أصاب أو لم يصب. " ⁹⁰ أو بالنسبة للفاطميين الذين أدركوا أن الضرائب الشرعية لا يمكن أن تكفي حاجاتهم المتزايدة بسبب أطماعهم التوسعية وقواتهم الكبيرة فأوجدوا ضرائب جديدة واعتمدوا الحزم والصرامة في تحصيلها، ⁹¹ وسار الزيريون على سياسة الفاطميين في فرض

85 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 47.

86 صلاح الدين حميدي / وهراني قدور، المرجع السابق، ص 95.

87 الشماخي، المصدر السابق، ص 204

88 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 48-54.

89 نفسه، ص 35، قاسمي بختاوي، المرجع نفسه، ص 68.

90 ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 131.

91 جودت عبد الكريم، الأوضاع، مرجع سابق، ص 30-31.

الغرامة على أهل البادية.⁹² أما حكام الدولة الرستمية فكانوا عكس ذلك إذ أرسل أفلح بن عبد الوهاب للبشير محمد بن سلام أحد عماله يلزمه فيها بحدود الشرع فيما يختص بالخراج، فقال: "إنما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد، فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا."⁹³

2.4- الخراج: يعد الخراج موردا من موارد بيت المال الرستمي منذ عهد الإمام الأول عبد الرحمن بن رستم، لكن المصادر لم تعط تفاصيل حول كيفية وضعه، إلا أن لدى الإصطخري إشارة بأن الخراج يتم إما على القوانين التي هي اقتطاعات معروفة لا تزيد ولا تنقص سواء زرعت الأرض أم لم تزرع، وإما على المساحة والمقاسمة، فإن زرعت الأرض أخذ خراجها وإن لم تزرع لا يؤخذ.⁹⁴

3.4- الجزية: تفرض على غير المسلمين. وقد قام الرستميون بجبايتها كغيرهم من حكام المغرب، حيث يذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم كان ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية... فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته.⁹⁵ مما يدل على وجود أهل الذمة في تيهرت. لكن المصادر لم تشر إلى عددهم ولا إلى مبلغ الجزية المفروضة عليهم، إلا أن المؤكد أنها كانت موردا من موارد الدولة الرستمية.⁹⁶

4.4- العشور: ذكرت المصادر أن الرستميين قاموا بجباية العشور، حيث يذكر مؤرخهم ابن الصغير أن "أهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أواني الطعام فيقبضون أعشارهم،⁹⁷ ويفهم من كلمة أواني الطعام أن هذه الجباية كانت على المحاصيل الزراعية⁹⁸ لا نقدا.

5.4- المستغلات: تتمثل المستغلات في مختلف المنشآت التي يقيمها الناس على أرض حكومية كالأسواق والفنادق والطواحين، حيث يعرفها ابن حوقل بأن تربتها للسلطان، وقد ابتنى فيها التجار الأسواق وغيرها، فالبناء لهم ويؤدون أجر الأرض.⁹⁹ وقد كثرت هذه

92 ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 245، جودت عبد الكريم، الأوضاع، مرجع سابق، ص 31.

93 عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 229.

94 الإصطخري، المصدر السابق، ج 1، ص 95.

95 ابن الصغير، المصدر السابق، ص 52-42.

96 قاسمي بختاوي، المرجع السابق، ص 68.

97 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 35.

98 قاسمي بختاوي، نفس المرجع والصفحة.

99 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 265.

المستغلات في العهد الرستمي خصوصا إبان إمامة أفلح بن عبد الوهاب.¹⁰⁰ لكن ابن الصغير لم يقدم أية تفاصيل عنها مثل عددها وجبايتها وملكياتها واكتفى بالقول عن مجالات إنفاق الأموال التي وصلت من المشرق: "...ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الأموات، وغرس البساتين وإجراء الأنهر، واتخاذ الأرحاء والمستغلات."¹⁰¹

6.4- الأعباس: هي الأموال الموقوفة عن جهات بر لا تنقطع كالدور والفنادق والأراضي. وقد شكلت موردا للرسامين وغيرهم ممن حكم بلاد المغرب الأوسط، ويقال في المصادر ذكر هذا المورد.¹⁰²

7.4- الوصايا: تعد موردا آخر من موارد بيت المال الرستمي، وهي عبارة عن تبرعات كان يجمعها مشايخ الإباضية من أتباعهم لدعم بيت المال، وكذا الوصايا التي كان يأتي بها العمال عند زيارتهم لتيهت¹⁰³ حيث يقول الشماخي أن أبا مرداس مصاهر السدراتي وهو أحد مشايخ النفوسيين، كان إذا أراد زيارة تيهت أخذ الوصايا من أهل الدعوة بجبل نفوسة فيرفعها إلى تيهت لنفع بيت مال المسلمين.¹⁰⁴

-موارد أخرى:تعد التجارة من الموارد الهامة للدولة الرستمية، حيث ساعد موقع عاصمتها تيهت على التحكم في العديد من الطرق التجارية البرية، وظلت مركزا تجاريا مهما لمدة قاربت القرن ونصف. وقد أشار ابن الصغير إلى ازدهار النشاط التجاري بقوله: "واستعملت السبل إلى بلد السودان – يقصد سكان إفريقيا جنوب الصحراء-، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة."¹⁰⁵ ومن دون شك أن التجارة كان لها إسهام في الرخاء الذي عرفته الدولة في أطوار ما بعد التأسيس. تولى الإشراف على جباية الأموال وإنفاقها موظف يعرف في العهد الرستمي ب "صاحب بيت المال" يقوم على جمع الموارد المالية وهو واحد من الثلاثة الذين يحرص الإمام على تعيينهم بنفسه، بل كان الإمام أول ما يبدأ به بعد بيعته هو هذا التعيين لأهمية مناصبهم إضافة إلى القاضي وصاحب الشرطة.¹⁰⁶ ويبدو أن عمال الزكاة كانوا يتحرون وقت الحصاد حسب ما تذكر

100 ابن الصغير، المصدر السابق، ص.61

101 نفسه، ص.31.

102 الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ت-696هـ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ج 2، تحقيق أبي الفضل أبي القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968، ص.292

103 قاسمي بختاوي، المرجع السابق، ص.67-72

104. الشماخي، المصدر السابق، ص 177.

105 - ابن الصغير، المصدر السابق، ص 32.

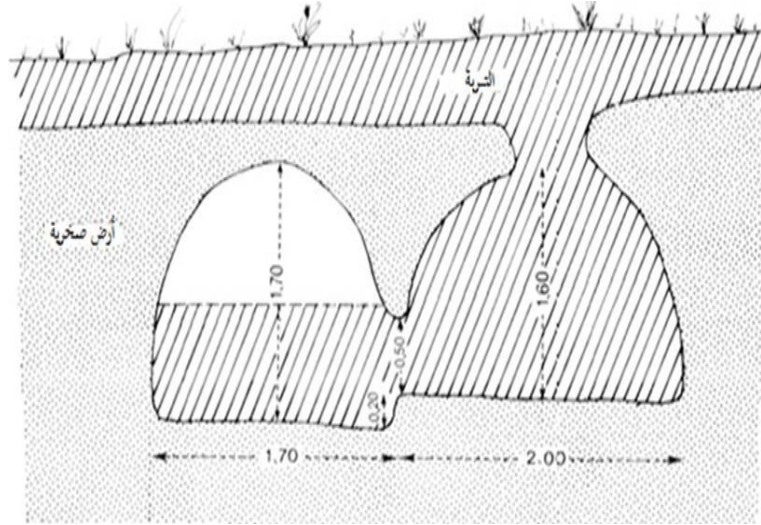
106 ابن الصغير المصدر نفسه، ص 101. فطيمة مطهري، موارد بيت المال الرستمي ونظام الهاديات والمعاملات داخل تيهت وخارجها (2-3هـ)، مجلة القرطاس للدراسات التاريخية والحضارية والفكرية،

المصادر التزاما بالشرع.¹⁰⁷ كما يظهر أن أهل البادية يمتنعون عن دفع هذه الضرائب لغلبة الطابع القبلي عندهم فلم يكونوا يألفون دفع مثل هذه الضرائب.¹⁰⁸

خاتمة : لاحظنا من خلال البحث أن مدينة تيهرت كانت شديدة الارتباط بالأرياف القريبة منها والتي تمثل امتداد لنشاط سكانها من العوام ورجال الدولة وحتى بعض الأئمة الرستميين كانت لهم قصور وضيعات يهتمون بها ويذهبون إليها من وقت لآخر. كما أن مناخ المدينة وطبيعة موقعها في سفح الجبل المفتوح على البسائط ذات الخصب منحها أهمية اقتصادية لما تدره هذه السهول من غلال وثمار جعلت المدينة تكتفي من الغذاء والإنتاج الحيواني المتنوع وتزدهر تجارتها البرية والبحرية، وهو ما انعكس على رخاء الدولة وعمارة خزينتها بالأموال وغنى شعبها نتيجة انخراطه في العملية الإنتاجية بفضل ما وفرتة الدولة من استقرار وأمن ومساهمة في توفير المياه للشرب والري.

الملحق:

صورة شكل المطامر بتيهرت خلال العصر الإسلامي الوسيط



ينظر : عباد محمود، الموقع وتطور المشهد العمراني لمدينة تيهرت "القديمية" خلال العصر الإسلامي الوسيط، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة وادي سوف المجلد 4، العدد 5، الصفحة 519-538، 2018.

جامعة تلمسان، مجلد1، العدد02، 2015، ص.ص 93-104. قاسمي بختاوي، المرجع السابق، ص68.

107 ابن الصغير، المصدر السابق، ص 53.

108 جودت عبد الكريم، الأوضاع، مرجع سابق، ص 418. فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص97.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- ابن الرامي البناء، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي المعروف بابن الرامي البناء، - عاش خلال النصف الأول من القرن 8هـجري 14مليادي-، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق ودراسة فريد بن سليمان، تقديم عبد العزيز الدولاتي، مركز النشر الجامعي، 1999.
- 2- ابن الصغير-ت خلال ق3هـ- أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وبحاز ابراهيم، دار الغرب الاسلامي، 1985.
- 3- ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت 1996.
- 4- ابن خلدون، عبد الرحمان (ت 808هـ/1406)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر بيروت طبعة 2000/1421م.
- 5- ابن عذارى المراكشي-ت بعد 712هـ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ط1، تحقيق، بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013هـ/1434م.
- 6- أبو العينين حسن سيد، أصول الجغرافيا المناخية، الدار الجامعية للطباعة، الطبعة الأولى، بيروت، 1981.
- 7- أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002م.
- 8- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، ت 559هـ- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة 2002/1422م.
- 9- الإصطخري بن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 4هـجري)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/1961م.
- 10- أوكيل مصطفى باديس، ميناء عين فروخ ودوره في الحركة التجارية للدولة الرستمية، مجلة تاريخ المغرب العربي، المجلد 3، العدد 7، 2017، ص.ص 68-83.
- 11- بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط1414، 2هـ/1993م، المطبعة العربية غرداية، الجزائر.
- 12- بختاوي قاسمي، مصادر التمويل ونظام الجباية في الدولة الرستمية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة شلف، مجلد 12، عدد 02، 2020، ص.ص 67-72.
- 13- بشاري لطيفة بن عميرة، الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 8، 1993/1994، ص.ص 71-72.
- 14- بشاري لطيفة بن عميرة، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين، ق 1-4هـ/10-7م، دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، 2007-2008م.
- 15- البكري، أبو عبيد الله ت 487هـ / 1094م، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر 1957م.
- 16- بلحسن رايح، أضرحة الملوك النوميدي والمور، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

- 17- بوجلاية قوزية سعاد. تاريخ مدينة تيهرت الأثرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد4، العدد8، 2016، ص.ص72-87.
- 18- جعيل أسامة الطيب، نبيلة عبد الشكور، الزراعة في إقليم الزاب في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة بلعباس، مجلد 11، عدد 02، سبتمبر 2020، ص.ص. 114-127.
- 19- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و4هجريين /9-10م، د م ج، الجزائر 1992.
- 20- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- 21- الحريري عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ) دار القلم، ط3، الكويت سنة1408-1987م .
- 22- حميدة عبد الرحمان، جغرافية الوطن العربي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1997/1418.
- 23- حميدي صلاح الدين، وهراني قدور، موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالغرب الإسلامي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة تيارت، المجلد1، العدد01، 2018، ص.ص94-106.
- 24- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، ت696هـ. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968.
- 25- الدراجي بوزيان، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزبانية، د م ج، الجزائر 1993.
- 26- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد- ت حوالي 670هـ/1272م- طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م.
- 27- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد —ت928هـ/1521م- كتاب السير، مقدمة التوحيد وشروحها، صححها وعلق عليها ابراهيم اطفيش، القاهرة 1353هـ.
- 28- اصطيفان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2007.
- 29- عباد محمود، الموقع وتطور المشهد العمراني لمدينة تيهرت " القديمة " خلال العصر الوسيط، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة وادي سوف، مجلد4، العدد 5، 2018، ص.ص519-538.
- 30- عباس إحسان، المجتمع التهرتي في عهد الرستميين، مجلة الاصاله، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد45، ص.ص20-27.
- 31- القاضي وداد، ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الاصاله، العدد45، ص.ص37-60.
- 32- لعروق محمد الهادي وسمير بوريمة، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.
- 33- مجهول، كاتب مراكشي -عاش في القرن 6هـ/12م-، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

- 34- المراكشي، عبد الواحد بن علي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع هوامشه خليل عمران المنصور، ط2، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.
- 35- مطهري فطيمة، **موارد بيت المال الرستمي ونظام المبادلات والمعاملات**، مجلة القرطاس للدراسات التاريخية والحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، مجلد1، العدد02، 2015، ص.ص 93-104.
- 36- المقدسي، ابو عبد الله - ت378هـ/988م- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.2، مطبعة بريل ليدن 1906.
- 37- الونشريسي، أبي العباس احمد بن يحيى، ت914هـ، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، ت محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط ودرا الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م .
- 38- ياقوت الحموي-ت626هـ-، **معجم البلدان**، دار صادر بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م .
- 39- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح- ت284هـ/897م- **البلدان**، نشر م ج جوية، ط.2 . بريل ليدن، وصف إفريقية الشمالية مأخوذ من كتاب البلدان، اعتناء ونشر. هنري بريس. الجزائر 1380 هـ 1892م.
- 40- **Hajiat Abde Lhamid, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyane Abou Hammou Mousa II**, édition Errached, Algérie, 1430/2009.
- 41- **SENHADJI Dalila , Histoire de l'architecture, polycopié**, Faculté d'Architecture et de Génie-Civil Département d'Architecture, Université d'Oran, 2016 – 2017.